# الكلمة الختامية للدورة القرعاوية

لفضيلة الشيخ العلامة

## زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

وهي كلمة ألقاها الشيخ في اختتام الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ

تحقيق وتعليق

## أبي عبد الله

## وائل بن على بن أحمد الأثري

# تنبيه

هذه النسخة لم تراجع من قبل شيخنا

حفظه الله تعالى

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فبين يدي القارئ الكريم الكلمة الختامية للدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ لشيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – والتي ألقيت في يوم الأربعاء الموافق : ٥/ شعبان / ١٤٣٢هـ وقد بدا لي بعد أن انتهيت من التحقيق والتعليق على الكلمة الافتتاحية للدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ والتي هي بعنوان ( فقه الدعوة ونعوت الداعية ) القيام بتفريغ الكلمة الختامية أيضاً وتحقيقها والتعليق عليها بما يناسبها ؛ وذلك لوجود مناسبة بين موضوع المحاضرتين فهذه كالمكملة لمحاضرة الافتتاحية ، لذا رأيت إدراجها معها حتى يتم النفع ويستفيد القارئ من هذه وتلك فقد تكلم شيخنا بكلام جيد قد وفق فيه بفضل الله تبارك وتعالى فينبغي العض عليه بالنواجذ فهو من العلماء الربانيين الذين يستفاد منهم ويحرص على قراءة كتبهم واستماع دروسهم .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

# الكلمة الختامية للدورة القرعاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين،،، أما بعد :

فالشكر لله تبارك وتعالى أولاً وآخراً ، ثم لكل من تسبب في دعم هذه الدورة ونظائرها من ألوان الأنشطة التي يتبناها المكتب التعاوني بمحافظة صامطة[1] ، وهي ولله الحمـد أنشطة مستمرة على مدار العام بفضل الله ثم بجهود من يدعم الدعوة مادياً ومعنويـاً ، وهذه الدورات تدعم من قبل المؤسسة ؛ مؤسسة الأميرة العنـود[2] – رحمهـا الله – ووفق القائمين عليها لكل خير ؛ يدعموها بسخاء واحتساب وبدون إلحاح في الطلب، وهذا أمر يؤجرون عليه ويشكرون عليه ، فنشكرهم على ذلك ونسأل الله لهم العون والسداد في كل ما يأتون ويذرون[3] ، وأشكر أيضاً كل من مد يد العون بدعم الدورة والأنشطة بالمكتب بالكتب والمشورة الطيبة والإعانة ولو بالدعاء للقائمين والمـتعلمين

١ - شكر الشيخ – حفظه الله – لهؤلاء من تمام شكر الله تبارك وتعالى ودليل على اتباعه للسـنة النبوية وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث الصحيح :" لا يشكر الله مـن لا يشكر الناس " رواه أحمد ( ٩٠١١ ) وأبو داود ( ٤٨١١ ) وصـححه الألبـاني وكـذا في الصحيحة ( ٤١٦ ) وصحيح الجامع ( ٧٧١٩ ) .

والأنشطة التي يقدمها المكتب التعاوني هي تيسير العلم وذلك من خلال إقامة الدروس والدورات العلمية وتوزيع الكتب العلمية النافعة .

٢ - مؤسسة الأميرة العنود ؛ نسبة إلى الأميرة العنود بنت عبد العزيز بن مساعد بن جلـوي آل سعود من مواليد مدينة حائل عام ١٣٥١هـ وهي زوجة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، توفيت عام ١٤١٩هـ عن عمر يناهز ٦٨ عاماً .

٣ - يذرون : أي يتركون .

والمعلمين فهو فضل من الله تبارك وتعالى يؤجر عليه الداعي ويستفيد منه المدعو له بإذن الله .

ولا أنسى ما قام به المكتب التعاوني من الخدمة المتواصلة ليلاً ونهاراً حرصاً على إقامة هذه الدورة لتكون على وجه التمام فإني رأيتهم ينشطون ويتسابقون في خدمة هذا النشاط أكثر من خدمتهم في بيوتهم ولأنفسهم فشكر الله لهم جهودهم وأثابهم عليها وقد رأيتم[٤] ما يقوم به المشرفون على السكن ؛ الذين تركوا خدمات بيوتهم وبذلوا جهودهم في خدمة طلاب العلم وهم يستحقون ذلك[٥] ، ومن خدمهم[٦] فأجره عظيم وهو صادق في دعوته إلى الله عز وجل ومحبته للصالحين من عباد الله .

ولست بناسٍ أن أشكر جميع الطلاب الذين وفدوا إلينا وفي هذا الوقت بالذات الذي لا يعتبر وقت سياحة وإنما وقت الحر والغبار[٧] ، وما أتى بهم من أماكنهم إلا حباً في طلب العلم وإحياء لسنة الرحلة في طلب العلم[٨] التي ابتدئها الكبار من أصحاب النبي

---

٤ - أي أيها الحضور للدورة .

٥ - أي أن طلبة العلم يستحقون هذه العناية ، وهذا حق فليت الأغنياء من المسلمين أن يوجهوا أموالهم لخدمة العلم الشرعي فيساعدوا طلبة العلم فيما لا يقدرون عليه فإن طالب العلم يحتاج إلى أشياء كثيرة وهو في طريق العلم ؛ وما معه من مال ينفد لكثرة متطلباته ، ولو أن أغنيائنا كفلوا طلبة العلم الأقوياء المشهود لهم بالقوة العلمية والمنهجية لخرج لنا جم غفير من العلماء الأقوياء .

٦ - أي من خدم طلاب العلم .

٧ - وذلك لأن الدورة تكون في الإجازة الصيفية ، والصيف معروف بحرِّه الشديد فمن قطع المسافات وجاء لحضور الدورة فقد قاوم الحر وغبار السفر إذ السفر قطعة من العذاب كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – :« السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ » رواه البخاري ( ١٨٠٤ ) ومسلم ( ١٩٢٧ ) .

٨ - وذلك لأن من أحب شيئاً هانت عليه نفسه للوصول إليه ولو كلفه الصعاب ، فمن قطع المفاوز وركب الصعاب ليحقق الهدف الذي يسعى إليه – ويا له من هدف عظيم ومقصد نبيل – كان دليلاً على حبه للعلم .

– صلى الله عليه وسلم – كما لا يخفاكم ؛ كان الواحد منهم إذا سمع أن فلاناً يحفظ من الأحاديث ما لا يحفظه في بلد بعيدة اشترى مركباً ووفر الزاد وارتحل من أجل أن يسمع ولو حديثاً واحداً يضمه إلى ما عنده(٩) .

فالرحلة ؛ مشروعية الرحلة أصيلة ، أساسها ما قام به أولئك الفضلاء صفوة الأمة أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – من المهاجرين والأنصار الذين حملوا العلم عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – كاملاً موفوراً حتى وصل إلينا في هذا الزمن وإلى ما شاء الله أن يكون(١٠) .

فمن رحل في طلب العلم في هذا الزمن فله أسوة في أئمة العلم وعلى رأسهم الرسل والأنبياء(١١) الذين تلقوا العلم عن الله ونشروه لعباد الله ، ثم من حملوا العلم عنهم وهكذا من حمل العلم عن العلماء ؛ لأن العلم ميراث يرثه اللاحق عن السابق وفي هذا حديث المصطفى – عليه الصلاة والسلام – :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به ، فقد أخذ بحظ وافر "(١٢) ،

٩ - لمن رام معرفة المزيد عن الرحلة في طلب العلم فليرجع لكتاب ( الرحلة في طلب الحديث ) للخطيب البغدادي فإنه كتاب جيد في ذلك أودع فيه أمثلة كثيرة للصحابة – رضي الله عنه – وغيرهم من أهل العلم ، ويراجع كذلك كتاب العلم من كتب الصحاح والسنن فقد ضمنه أصحابها باب الرحلة في الطلب .

١٠ - فلم يفقد شيء من أحكام الشريعة الإسلامية لأن الله تعالى تولى حفظ كتابه فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وحفظ القرآن يستلزم حفظ السنة لأنها المبينة لأحكامه كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

١١ - كرحلة موسى مع الخضر عليهما السلام .

١٢ - صحيح : رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ

ومن فاته العلم فلا حظ له في الحياة الطيبة المباركة لا في الدنيا ولا في الآخرة[١٣] ، من فاته العلم لا سيما فرض العين من العلم فقد أضاع نصيبه وقصر في هذا الميراث الثمين الذي يحبه من شرح الله صدره للخير بحذافيره[١٤] .

فأشكر الجميع الذين أتوا من أقطار بعيدة ولم يأت بهم إلا الحرص على طلب العلم وإن شاء الله النية الصالحة في العمل به ونشره إذ أن العلم يطلب لهذه المقاصد الشريفة إزاحة الجهل عن النفس ، والعمل بالعلم ، ونشره ، والصبر على الأذى الذي المتعلم والعامل والداعي .

وإن كان لي من كلمة أختم بها هذه الدورة المباركة التي تعتبر حلية للأنشطة في المكتب التعاوني بمحافظة صامطة ؛ فأوصي نفسي وأوصيكم جميعاً بما يجب التواصي به وأرشدنا به نبي الرحمة – عليه الصلاة والسلام – من ذلك قوله – عليه الصلاة

---

بحظ وافر ". وصححه الألباني في المواضع السابقة وفي صحيح الجامع ( ٦٢٩٧ ) وقال في المشكاة (٢١٢): حسن . وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

١٣ - ولله در القائل :

ومن لم يذق مر التعلم ساعة    تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعلم وقت شبابه    فكبر عليه أربعاً لوفاته

وأما كونه لا حظ له في الدنيا فلأنه يعيش على جهل ولا يعبد الله على بصيرة فهو متخبط يصيب مرة ويخطئ أخرى ؛ وأما كونه لا حظ له في الآخرة فلأجل تخبطه في الدنيا وما سبق ذكره قد يكون سبباً لاستحقاقه العقاب يوم القيامة إن لم تدركه رحمة الله تبارك وتعالى ، أو قد يكون لا حظ له في تحصيل المكانة العالية في الجنة فإنه لا يستوي رجل عامي جاهل ورجل عالم فلا سواء البتة .

١٤ - وذلك لأنه على قدر تعلمه على قدر أخذه من ميراث النبي – صلى الله عليه وسلم – والسعيد من طلب المزيد ، ومن رضي بالدون فليبك على نفسه ؛ وعلى قدر أولي العزم تأتي العزائم وقد صدق القائل ( بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى ) وقول بعض الشعراء :

وإذا كانت النفوس كبارا    تعبت في مرادها الأجسام

وقول :

ولم أر في عيوب الناس عيباً    كنقص القادرين على التمام

والسلام – :" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل "[١٥] وصايا[١٦] من أخذ بها ظفر برضا الله وجنته التي أعدها لأوليائه ؛ ونجا من النار والعياذ بالله منها ، فينبغي أن ندرس هذا الحديث وأمثاله ونطبقه تطبيقاً عملياً في أنفسنا ودعوة لغيرنا ، المسلم الحقيقي من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وخطر اللسان معلوم لكل عاقل ، وكان السلف الصالح يهتمون بحفظ ألسنتهم ويخافون من فلتات اللسان ، وقبل ذلك وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ وهي وصية للأمة كلها ، وصاه بأحكام وأوامر ونواهي[١٧] ثم قال له :" ألا أدلك على ملاك ذلك كله ، قال : بلى ، فأخذ بلسان نفسه وقال :" كُفَّ عليك هذا " قال : أو إنا مؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ قال :" ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "[١٨]. فلتات اللسان

---

١٥ - صحيح : رواه أحمد ( ٢٤٠١٣ ) وصححه الألباني في تحقيقه على كتاب الإيمان لابن تيمية ( ص : ٩ ) وقد روى شطره الأول الإمام البخاري في صحيحه ( ١٠ ) ومسلم ( ٦٥ ) .

١٦ - أي هذه الوصايا الواردة في الحديث .

١٧ - وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – :« لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ » قَالَ : ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ »؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ :« رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » ثُمَّ قَالَ :« أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ »؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ :« كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » .

١٨ - صحيح : رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ( ٥٦١ ) وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٠٣ ) وأحمد ( ٢٢٠١٦ ) والترمذي ( ٢٦١٦ ) والنسائي في الكبرى ( ١١٣٣٠ ) وابن ماجه ( ٣٩٧٣ ) والبزار ( ٢٦٤٣ ) والطبراني في الكبير ( ٢٠/ ١١٦، ١٣٧ومواضع

بدون حساب لذا كان السلف يقول بعضهم لبعض : ما رأيت شيئاً أحق بالسجن من اللسان[١٩] ، لذا وجب على كل مكلف من المسلمين والمسلمات أن يراعي اللسان إذا تكلم ماذا يريد أن يتكلم به ؛ إن كان خيراً أمضى ، وإن كان شراً سكت ، وإن كان مباحاً تدعو الحاجة إليه فلا حرج في ذلك[٢٠] ، وهو دليل على يسر الدين وسهولته وعظمة شأنه وأنه دين الرحمة ، يتحدث الناس في قضاء حوائجهم وفيما أبيح لهم[٢١] ،

---

أخرى ) وفي مسند الشاميين ( ٢٩٣٨ ) والحاكم ( ٣٥٤٨ ) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ؛ ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة ( ٤١٢ ) وصحيح الجامع ( ٥١٣٦ ) والإرواء ( ٤١٣ ) .

١٩ - نعم صحيح هذا الكلام لأن اللسان قد يورد صاحب المهالك ؛ فجدير بالعاقل ألا يتكلم إلا بما يرضي ربه سبحانه وتعالى فينظر فيما يريد التكلم به فإن كان حقاً وصواباً تكلم وإلا أمسك عن الكلام ، فإن الكلام بلا ضابط ولا رابط وبال على صاحبه وقد يعرضه ذلك لسخط الله تبارك وتعالى كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ » . رواه البخاري ( ٦٤٧٧ ) ومسلم ( ٢٩٨٨ ) ، فكم من رجل يقع في الغيبة والنميمة ولا يلقي لذلك بالاً ؟! وكم من رجل يقع في الكذب الصريح بحجة أنه يهزل ولا يلقي لذلك بالاً أيضاً ؟! والغيبة والنميمة والكذب من الكبائر التي تورد صاحبها المهالك ، فنسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

٢٠ - ولله در القائل :

احذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

٢١ - هذا هو المعنى الصحيح لليسرية ؛ أنها في حدود ما أحله الله ، وليس كما يزعم البعض من الجهَّال والذين ضلَّ سعيهم ؛ من المناداة بيسرية الدين ويريدون بذلك عدم اعتراض أحد عليهم بأن ما يفعلونه محرم شرعاً فهم يقصدون باليسرية ( حرية ) ويريدونها حرية بلا ضابط ولا رابط ؛ يفعل المرء ما يشاء ويشتهي ! ولا شك أن هذا ضلال مبين وبعد عن الطريق المستقيم ؛ نسأل الله السلامة والعافية .

ولكن المكسب إذا انطلق اللسان في ذكر الله وما والاه ، وذكر الله لفظ عام يتناول الذكر المفروض والواجب والمستحب كل ذلك يؤجر عليه الإنسان[٢٢] .

فيجب مراقبة اللسان مراقبة شديدة مستمرة ليس لها حد ولا منتهى حتى تلتف الساق بالساق ويوصي بعضنا بعضاً بذلك ؛ الأسرة والقرابة ، والقريب والبعيد ، فطالب العلم مثل الغيث أينما حل نفع الناس[٢٣] .

وكذلك المسلم من سلم الناس من يده[٢٤] ، فلا يبطش بها حراماً ، ولا يمدها إلى حرام ، ولا يسفك بها دماً محرماً ، وإنما يستعملها فيما أبيح له ، وفيما فرض عليه وفيما وجب عليه ، وفيما استحب له ، ويكفها عما حرم الله عز وجل ؛ عن أموال الناس ، ودماء الناس ، وعما يضر به نفسه أو يضر به غيره[٢٥] .

وحقيقة المؤمن كما في الوصية الثانية ، حقيقة المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم ، فالمؤمن ليس من أهل الاعتداء على الغير ولو كان كافراً لا يجوز عليه الاعتداء والإساءة التي لم يأذن فيها الشرع ، وتعرفون أحكام أهل الذمة كما درستم في كتاب الجهاد[٢٦] ، وكيف جاءت الوصايا بهم بعدم الإيذاء لهم وأخذ

---

٢٢ - فحري بالمسلم أن يغتنم الوقت في ذكر الله تبارك وتعالى بكل أنواعه وصوره فيحافظ على تلاوة القرآن والأذكار المطلقة والمقيدة ويأتي بها على الكيفية الثابتة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته – رضي الله عنهم – حتى تكون عبادته مقبولة عند الله ، وأما من ضيَّع الأوقات في الملذات والشهوات فقد استحق عقاب ربِّ الأرض والسماوات .

٢٣ - وذلك لأنه إما أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر .

٢٤ - أي يسلمون من أذى يده .

٢٥ - لا شك أن المسلم مطالب بأن لا يؤذي أخاه المسلم سواء بيده أو غيرها ؛ بل يستعمل يده فيما أمره الله به وما أحله له ويبتعد عن ملابسة المعصية ، فإن اليد نعمة من نعم الله تعالى العظيمة ولا يليق البتة أن يلابس المرء معصية الله بنعمته ، فهذا فضلاً عن كونه محرماً فهو منافي الشكر أيضاً ، لأن نعم الله على العبد تقابل بالشكر وليس بالمعصية .

٢٦ - أي وتعرفون أيها الطلاب أحكام أهل الذمة كما درستم في كتاب الجهاد من أخصر المختصرات ؛ فإنه كان مقرراً عليهم دراسته في هذه الدورة وقد قام شيخنا زيد – حفظه الله –

أموالهم أو انتهاك أعراضهم[٢٧] ، كل ذلك لا يجوز ؛ وهم كفار أعداء الله[٢٨] ، وهذه من مزايا الإسلام العظيمة ، الرحمة والعدل ، فالمؤمن مأمون على الدماء ، ومأمون على الأموال فلا يمد يده إلى أحد بسفك دمه لأنه محاسب على ذلك[٢٩] ، وقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن العبد يحاسب على إيذاء الغير ولو باللطمة اليسيرة

---

بشرحه . وقد يكون المعنى أوسع من ذلك فيكون : وتعرفون ذلك من خلال دراستكم ومطالعتكم .

٢٧ - من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه ( ٣١٦٦ ) عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » . وروى أبو داود في سننه ( ٣٠٥٢ ) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » وصححه الألباني . وغير ذلك من الأدلة .

٢٨ - أي ومع ذلك لا يعتدي المسلم عليهم ولا يظلمهم ولا يبخسهم حقاً لهم ، وإنما يبغضهم لكفرهم من غير ظلم لهم ، ولا شك أن هذا من سماحة الشريعة الإسلامية .

تنبيه : بعض الناس يتعامل مع الكفار معاملة حميمة بكل حب وود من غير كره وبغض ولا شك أن هذا فيه تضييع للولاء والبراء ، وأشد جرماً من ذلك من تعامل معهم على أننا سواء وأننا إخوة في الإنسانية والمواطنة ! فهذا على خطر شديد ، فحري بامرئ هذا حاله أن يتقي الله تعالى وأن يحافظ على عقيدته وأن يعلم كفر هؤلاء وأن الإسلام رخَّص له فقط في التعامل معهم على قدر الحاجة والمطلوب ولم يرخص له في حبهم بل أمره ببغضهم وكرههم من غير ظلم لهم .

٢٩ - الأدلة الواردة في الشريعة الإسلامية على حرمة الدماء كثيرة ؛ منها قوله تعالي :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ وفي الحديث المتفق عليه أن النبي – صلى الله عليه وسلم –:" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدين المفارق للجماعة " البخاري ( ٦٨٧٨ ) ومسلم ( ١٦٧٦ ) . وفي صحيح مسلم ( ١٢١٨ ) :« إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . وفي سنن أبي داود ( ٤٢٧٠ ) :" لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم " وصححه الألباني . وغير ذلك من الأدلة .

كما في حديث عبد الله بن أنيس[٣٠] ، حتى اللطمة يجازى بها لأن حقوق الناس لا تسقط ، ديوان لا يترك الله منه شيئاً وهو حقوق العباد بعضهم على بعض ولو كان حقوقاً[٣١] للكفار أعداء الله يأخذونها من المسلمين ، فوجب حفظ الأيدي وحفظ اللسان أن تمد إلى ما حرم الله تبارك وتعالى .

والمهاجر : حقيقة المهاجر ؛ هو من هجر الخطايا والذنوب[٣٢] ، هجرها خوفاً من عقوبة الله عز وجل وإجلالاً لله تبارك وتعالى[٣٣] ، إن الخطايا والذنوب تغضب الله تعالى ، كل ما حرم الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ؛ فعلها يغضب الرب تبارك وتعالى ، فأنت تجتنبها إجلالاً لله وتقديراً له لأنه نهى عن ذلك وامتثالاً وخوفاً مما يترتب عليها من العقوبات العاجلة والآجلة .

فلنتواصى[٣٤] دائماً بهجر ما نهى الله تبارك وتعالى عنه من الأقوال ومن الأفعال الظاهرة والباطنة ، ويوصي بعضنا بعضاً بذلك .

---

٣٠ - رواه أحمد في مسنده ( ١٦٠٤٢ ) ولفظه :" يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ : الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا " قَالَ : قُلْنَا : وَمَا بُهْمًا ؟ قَالَ :" لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدَّيَّانُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ ، حَتَّى اللَّطْمَةُ " قَالَ : قُلْنَا : كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا ؟ قَالَ :" بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " . ورواه الطبراني في الكبير ( ١٤٩١٤ ) والحاكم ( ٣٦٣٨ ) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٣١ - في الأصل قال شيخنا : ( حقوق ) بالتسكين والصواب عند التحرير ما أثبته .

٣٢ - قال شيخنا – حفظه الله – ذلك لأن المشهور عند الناس أن المهاجر من ترك بلده إلى بلد أخرى ، ولا شك أن هجر المعاصي هو المطلوب وذلك لأن من لابس المعاصي وهو مقيم في بلده أو مهاجر فلا خير في إقامته ولا هجرته ، فالهجرة الحقيقية أن يهجر المرء ما حرمه الله عليه .

٣٣ - هذا هو الذي ينبغي أن يكون الترك لله وتعظيماً لنهيه فإنه متى فعل ذلك أثابه الله تعالى الأجر الوفير ، وأما من ترك المعصية خوفاً من الناس فهذا لا أجر له .

٣٤ - أي يوصي بعضنا بعضاً .

والمجاهد : من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل ، حقيقة المجاهد في الشرع أن يبدأ بجهاد نفسه[٣٥] ، ومن الجهاد بذل الجهود في طلب العلم لأن بالعلم[٣٦] يبصر الإنسان الطريق الصحيح من الطرق المخالفة للخط الصحيح والصراط المستقيم كما أخبرنا الله عز وجل عن ذلك ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾[٣٧] والصراط[٣٨] كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – جملة وتفصيلاً[٣٩] .

فيجاهد العبد نفسه ليكون فقيهاً في دين الله فينفع نفسه وينفع غيره وذلك أشرف الجهاد[٤٠] ، أن تتعلم العلم وتعمل به وتدعو إليه وتنشره في أرض الله ، وذلك في

٣٥ - نعم هذا حق ؛ وأما ما يروى وينتشر على ألسنة كثير من الناس من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لما رجع مرة من بعض الغزوات :" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس " فهو حديث ضعيف لا يصح ؛ وقد حكم عليه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة بالنكارة فقال : ( ٢٤٦٠ ) منكر .

٣٦ - قال شيخنا : أولاً بطلب العلم ثم رجع فقال بالعلم .

٣٧ - ( سورة الأنعام آية : ١٥٣ ) .

٣٨ - أي المراد بالصراط الذي أمر المؤمن باتباعه في هذه الآية ؛ هو : كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بفهم السلف الصالح .

٣٩ - وقد ورد هذا المعنى في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال :" خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ الله "، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾" رواه أحمد ( ٤١٤٢ ، ٤٤٣٧ ) وصححه الشيخ أحمد شاكر ، ورواه كذلك جمع من أهل العلم .

٤٠ - هذا أمر مطلوب لأن العلم ليس سهلاً كما يظن البعض والنفس بطبيعة الحال تهوى الراحة لذلك يحتاج الصادق في طلب العلم إلى مجاهدة نفسه ليتخلص من كسلها الذي يعيقه عن الوصول للمطلوب ، فإذا وصل الصادق للمطلوب وجد حلاوة ذلك في قلبه فالناس ينظرون إلى فعل الطالب أنه تعب ونصب وهو يستلذ بذلك ويجد راحته في ذلك ومن جرب عرف ، ومن ذاق طعم ذلك طلب المزيد نسأل الله التوفيق والسداد والهداية لسبيل الرشاد . ومعلوم أن العلم الشرعي يدفع صاحبه لعبادة الله عز وجل وبطبيعة الحال فإن الطاعة ثقيلة على البدن لذلك يهوى

ذات الله إجلالاً لله ورغبة فيما رغب الله فيه ورغب فيه رسوله – عليه الصلاة والسلام – وذلك في كل عمل من أعمال البر والصلاح والفلاح التي ترضي الله تبارك وتعالى وتقرب العبد إلى ربه زلفى كما قال المولى الكريم ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[41] .

فهذا ما أحببت أن أذكر نفسي وأذكركم جميعاً به[42] وبحول الله عز وجل إذا انصرفنا كل يبذل جهده في نشر ما علم ، مراعياً الحكمة والتأني في الأمور[43] والله عز وجل

---

البدن الراحة فطالب العلم الشرعي في صراع ومجاهدة مع نفسه حتى يكبح جماحها عن المعصية ويقبل على طاعة الله تعالى .

[41] - ( سورة سبأ آية : ٣٧ ) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٦/ ٥٢٢ ) : ( أي: ليست هذه دليلا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم . قال الإمام أحمد – رحمه الله –: حدثنا كَثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:" إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ". ورواه مسلم وابن ماجة من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن بُرْقَان ؛ به . ولهذا قال :﴿ إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي : إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي : تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ أي : في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ، ومن كل شر يُحْذَر منه .)اهـ

[42] - إن ما فعله شيخنا زيد – حفظه الله – تجاه الحضور وغيرهم من المؤمنين إنما هو انطلاق من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري ( ١٣ ) ومسلم ( ٧٠ ) وأجمع ما قيل في معناه :" لا يكون أحدكم كامل الإيمان حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه . وقد ورد هذا المعنى في رواية عند النسائي ( ٥٠١٧ ) بسنده عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :" والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير " وصححه الألباني .

يفتح من العلم إذا أتى الإنسان بأسبابه ونوى النية الصالحة في ذلك وأخلص لله بالعمل **إذْ العمل لا يقبل من العبد إلا بشرطين :**

---

وقد بدأ شيخنا بنفسه لأن هذا هو المطلوب فإن المرء يطلب العلم بالدرجة الأولى ليخلص نفسه من الجهل وينجو من عذاب الله تعالى ؛ ومن ثم يعلم الناس ويصحح لهم عقائدهم وفق المنهج الصحيح بالدرجة الثانية ؛ وهذا من ثمرات الإخلاص في طلب العلم .

[43] - وذلك لقول الله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال الشيخ السعدي في تفسيره : ( أي : ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿ بِالْحِكْمَةِ ﴾ أي : كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده . ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين ، فإن انقاد بالحكمة ، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب . إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به . وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل ، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق . أو كان داعيه إلى الباطل ، فيجادل بالتي هي أحسن ، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً . ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.)اهـ

والتأني هو التروي في الأمور فلا ينبغي أن يكون المرء مندفعاً بغير حكمة ولا بصيرة لأن هذا قد يفتح عليه أبواب شر كثيرة فالرفق أمر مطلوب ومرغب فيه من ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ » رواه البخاري ( ٦٠٢٤ ، ٦٢٥٦ ) ومسلم ( ٢١٦٥ ) .

وروى مسلم في صحيحه ( ٢٥٩٣ ) عن عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » . وروى أيضاً ( ٢٥٩٤ ) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » وغير ذلك من الأحاديث التي دلَّت على منزلة الرفق وأهميته .

**الشرط الأول** : الصواب ، وهو يتجلى في المتابعة ؛ متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم –[٤٤].

**والشرط الثاني** : الإخلاص[٤٥] ، وذلك أن يبتغي العامل بعمله وجه الله والدار الآخرة .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

õ õ õ

٤٤ - المتابعة معناها السير على ما كان عليه فيأتي المسلم في أمور العبادة بالكيفية التي كان يفعلها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يبتدع في دين الله ما ليس منه لأنه متى فعل ذلك فإن بدعته ترد عليه ولا تقبل منه ؛ وذلك لما ورد في الحديث المتفق عليه عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " أي من أحدث في الإسلام ما ليس منه مما لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمره الذي أحدثه مردود عليه ولا يقبل منه .

٤٥ - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ولما ورد في الحديث المتفق عليه عن عمر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ..." الحديث . رواه البخاري ( ١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣ ) ومسلم ( ١٩٠٧ ) .